بسم الله الرحمن الرحيم

تَارِيخُ الشُّهَدَاءِ الْعِظَامِ ٢٧ شَعْبَانَ ١٤٤٥هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَضَائِلَ كَثِيرَةً؛ لِمَا يَتَجَرَّعُهُ الْمُرَابِطُ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ مِنَ الْعَنَتِ وَالْمَشَقَّةِ، وَكَمْ مِنَ الْمُفَاجَآتِ يَتَلَقَّاهَا، بَلْ رُبَّمَا غُدِرَ بِهِ عَلَىٰ حِينِ غِرَّةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَأُرْدِيَ قَتِيلًا يَتَشَحَّطُ بِدَمِهِ. لَكِنَّ هَذَا الْعَمَلَ الْجَلِيلَ، وَالْمَهَمَّةَ الْخَطِرَةَ الصَّعْبَةَ جَعَلَ الدِّينُ لِأَرْبَابِهَا مَكَانَةً عَالِيَةً، وَمَنْزِلَةً رَفِيعَةً، فَقَدْ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُجُورًا عَظِيمَةً لِلْمُرَابِطِينَ، تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُكَافِئُ هَذَا الْبَذْلَ وَالْفِدَاءَ بِالنَّفْسِ الْغَالِيَةِ، بَلْ وَتَزِيدُ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَوَاتَرَتِ السُّنَّةُ فِي فَضْلِ الْمُرَابَطَةِ وَالْحِرَاسَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الْأَوَّلُ: الْمُرَابَطَةُ عَلَىٰ ثُغُورِ الْبِلَادِ تُنْمِي لِصَاحِبِهَا عَمَلَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمَىٰ لَهُ عَمَلُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

الثَّانِي: عَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تَمَسُّهَا النَّارُ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

الثَّالِثُ: لَيْلَةٌ يَحْرُسُ الرَّجُلُ فِيهَا فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ».

الرَّابِعُ: رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ

مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ».

قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِنْهَاجِ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ حَجَّاجٍ»: **قَوْلُهُ** ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ**»: هَذِهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْمُرَابِطِ، وَجَرَيَانُ عَمَلِهِ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَضِيلَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَقَدْ جَاءَ صَرِيحًا فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يُنَمَّىٰ لَهُ عَمَلُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**»: مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الشُّهَدَاءِ: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وَالْأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ. اهـ

الْخَامِسُ: رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ».

جُنُودَنَا الْأَبْطَالَ: إِنَّ تَحْصِينَ ثُغُورِنَا الَّتِي يُحَاوِلُ الْأَعْدَاءُ لَيْلَ نَهَارَ النُّفُوذَ إِلَىٰ بِلَادِنَا مِنْ خِلَالِهَا هُوَ وَاجِبُ الْوَقْتِ، لَاسِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَتَرَبَّصُ فِيهَا الْأَعْدَاءُ، مِنْ صَائِلٍ بَاغٍ، أَوْ طَامِعٍ غَاشِمٍ، أَوْ مُغْرِضٍ حَاقِدٍ، أَوْ عَمِيلٍ خَبِيثٍ لِدُوَلِ الْغَرْبِ، فَاثْبُتُوا حَفِظَكُمُ اللهُ، وَاحْمُوا ثُغُورَ بَلَدِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا لِتَثْبِيطِ الْمُثَبِّطِينَ، وَإِرْجَافِ الْمُرْجِفِينَ.

وَالرِّبَاطُ: لُزُومُ الْجُنْدِ لِلْمَحِلِّ الَّذِي يُخَافُ وُصُولُ الْعَدُوِّ مِنْهُ، وَمُرَاقَبَتُهُمْ وَمَنْعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ مَقَاصِدِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْمُرَابِطِينَ عَلَىٰ الْحُدُودِ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ عَظِيمٌ، يُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْمَوْتِ وَالْخَطَرِ، وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَعِيشُوا فِي أَمْنٍ وَرَخَاءٍ، وَرَاحَةٍ وَأَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، وَرَغَدِ عَيْشٍ. يُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ وَالْأَهْوَالِ، يُفَارِقُونَ الزَّوْجَاتِ وَالْأَوْلَادَ وَالْأَهْلَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْعَمَ إِخْوَانُهُمْ بِعِيشَةٍ طَيِّبَةٍ، فَهُمْ يَقُومُونَ

بِوَاجِبٍ عَظِيمٍ. فَادْعُوا لَهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَأَعِينُوهُمْ بِمَا تَقْدِرُونَ، «وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ لِنَصْرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَابًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الشَّجَاعَةُ وَالْبُطُولَةُ وَالتَّضْحِيَةُ. لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ ﷺ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ. وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا».

الثَّانِي: كَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَالْإِلْحَاحِ عَلَى اللهِ فِي الدُّعَاءِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ فِي جَمِيعِ مَعَارِكِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ، وَزَلْزِلْهُمْ».

الثَّالِثُ: طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى، وَرَسُولِهِ ﷺ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

الرَّابِعُ: الِاجْتِمَاعُ، وَعَدَمُ التَّنَازُعِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الْخَامِسُ: الصَّبْرُ وَالْمُصَابَرَةُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ».

السَّادِسُ: الرَّغْبَةُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟»، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ [أَيْ: جُعْبَةَ النَّبْلِ]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَمِّيَ الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، وَفِي أَصْحَابِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْظُرُوا حَوْلَكُمْ، وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ الدُّوَلِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهَا تِلْكَ الْخُطُوبُ وَالْفِتَنُ وَالْحُرُوبُ، فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنِ اعْتَبَرَ بِغَيْرِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ.